الفصل الثانى

الخوارج

الخوارج

بعد حادثة التحكيم انشق جيش على ـ كرم الله وجهه ـ على نفسه فكانت الخوارج الذين رأوا أن عليا أخطأ فى قبوله التحكيم وانقلب الخوارج من قوم يقاتلون مع على إلى قوم يقاتلونه وانشغل على عن قتال معاوية بقتال من كانوا أصحابه بالأمس ويسكت التاريخ أو يكاد بعد حادثة التحكيم عما صار بين على ومعاوية ليقف مع ما كان بين على والخوارج.

وسنقف مع الخوارج فى فكرهم[1][i] دون الاهتمام بمعاركهم الحربية التى تناسبها كتب التاريخ.

لقد نشأت الخوارج كمعظم الفرق فى أول أمرهم نشأة بسيطة فلم يكن لهم مذهب محدد، ولم يكن عندهم عمق فى التفكير.

ولكنهم كانوا يجادلون وفى بعض الأحيان يتركون مذهبهم عندما يقتنعون بكلام الخصم ونضرب لذلك مثالاً: لما علم على رضى الله عنه بأن الخوارج تجمعوا وبلغوا اثنى عشر ألفا وارتكبوا من الجرائم ما ينفر الناس عنه، بطبعهم فضلاً عن العذاب الذى يخشاه كل إنسان.

لما بلغ على هذا عزم على محاربتهم ولكنه رأى أن عليه ـ قبل أن يحاربهم ـ أن يحاول إقناعهم فأرسل إليهم ابن عباس: وقال لهم: "من زعيمكم"؟

---

(١) ومن أول الأمر ننبه أننا سنجد بين الخوراج والشيعة فرقًا كبيرا

١ـ فالشيعة تقول بالتقية والخوارج تجاهر بآرائها.

٢ ـ الشيعة دخلتها عقائد غير إسلامية كما تقدم وأما الخوارج فبرغم أنهم أخطئوا فى الكثير إلا أنهم لم يصابوا بكل ما أصيب به الشيعة فى هذه الناحية.

٣ـ الشيعة يؤلهون لاشخاص والخوارج لا.

٤ ـ يمتاز الخوارج بالفصاحة وبالوقوف بجدلهم عند شواهد الكتاب والسنة كما يقولون. أما الشيعة فإنهم قد يأخذون من الديانات والمذاهب الأخرى وغالبًا ما تؤدى ببعضهم إلى الخروج عن الإسلام.

هذه هى بعض الفروق. وهناك غيرها كثير يظهر كلما أمعنا النظر فى المذهبين.

قالوا : ابن الكواء فقال : ما أخرجكم من حكمنا؟

قالوا : حكومتكم يوم صفين : قال نشدتكم بالله ، أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف قلت لكم ـ وقد طلبتم أن أجيب إلى ذلك ـ إنى أعلم بالقوم منكم ، انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وقد صحبتهم وعرفتهم أطفالاً.ورجالاً ، فامضوا على حقكم وصدقكم ؛ فإن هذه خديعة ، ودهاء ، ومكيدة ، فرددتم على رأيى.

وقلتم : لا ، بل تقبل منهم.

فقلت لكم : أذكروا قولى لكم ، ومعصيتكم إياى. فلما أبيتم اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن ويميتا ما أماته القرآن فإن حكمًا بحكمه فليس لنا أن نخالف ، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء ، فهل قام إلى رجل منكم.

فقال : يا على ، إن هذا الأمر أمر الله فلا تحكم القوم؟

قالوا : لا. ثم بعد ذلك أخذوا هم يوجهون الأسئلة.

قالوا : فأخبرنا أفمن العدل تحيكم الرجال فى الدماء؟

قال : إنا لم نحكم الرجال ، وإنما حكمنا القرآن ، وهو خط مسطور بين لو حين لا ينطق حتى يتكلم به الرجال وأنتم حكمتم أبا موسى ، وجئتمونى به متربسًا وقلتم : لا نرضى إلا به.

ويتوجهون هم أيضًا إلى على ـ كرم الله وجهه ـ بالأسئلة من جديد :

قالوا : فخبرنا عن الأقل لم جعلته بيننا وبينهم؟

قال : ليعلم الجاهل ، ويثبت العالم ، ولعل الله يصلح فى تلك المدة بين الأمة ثم يبدأ على يسألهم : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مؤمنًا يدعو الكفار إلى كتاب الله. فارتد على عقبه كافرًا أكان يضره عليه السلام؟

قالوا : لا. قال فما ذنبى إذا ضل أبو موسى ، ولم أرض بحكومته ؛ ثم أخذواهم يوجهون الأسئلة لعلى كرم الله وجهه.

قالوا : أفرأيت كتابك باسمك واسم أبيك وتركك التسمى بإمرة المؤمنين؟

قال عليه السلام ـ مستشهدًا بما كان من أمر الحديبيه[١] ـ: كتب النبى صلى الله عليه وسلم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال أبو سفيان وسهيل بن عمر:

لو أقررنا بذلك وشهدنا به ما قاتلناك. أكتب باسمك واسم أبيك.

فقال عليه السلام: أكتب محمد بن عبد الله، فإن ذلك لا يضر نبوتى شيئًا. وكتبها رسول الله لإبائهم، فكتبتها أنا لإبائهم.

قالوا له: صدقت: وبقيت خصلة واحدة، وهو أنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت.

فقال عليه السلام: أنا أولى بألا أشك فى دينى، أم النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال الله لنبيه: **(قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين)**[٢] أدل ذلك على شك النبى فيما هو عليه حتى قال هذا؟

قال: فقال ابن الكواء: خصمتنا ورب الكعبة، وأنت أعلم منا بما صنعت.

فقال عليه السلام: ادخلوا مصركم ـ رحمكم الله ـ فلم نبرح حتى دخلوا معه المدينة[٣].

هذه واحدة من المحاورات التى كانت تدور مع الخوارج وكتب الفرق والأدب والتاريخ مملوءة بهذه المحاورات.

ويلاحظ فى محاورات الخوارج فى عهدها الأول أنها كانت خالية من التعقيدات الفلسفية، مملوءة بحرارة الإيمان.

وكثيرًا ما كانت حرارة الإيمان هذه تجعل الإنسان يتمنى أن لو كان هذا القتال الذى قام به الخوارج ضد أعداء الدين ولكنها الفتنة التى تدع الحليم حيران وإليك ما ذكره ابن قتيبه[٤] عن موقف من مواقف الخوارج والهدف الذى من أجله يقاتلون.

---

(١) من عادة القاضى عبد الجبار أن يقول عن على: عليه السلام

(٢) سورة القصص الآية (٤٩).

(٣) المغنى ص ١٠٩ ـ ١١٠ جـ٢٠ القسم الثانى.

(٤) الإمامة والسياسة ص ١١٨ ـ ١١٩ جـ١.

وفيها يظهر دين الخوارج، وتصوير صلتهم بربهم، وشعورهم بالمسئولية عن الأمر بالمعروف.

وطالما تساءلت: هل قوم مؤمنون هكذا يعيشون على سفك الدماء، وكنت لا أجد الجواب واضحًا من كتب التاريخ، ولكن العصر الحاضر ربما تولى الجواب:

إن بعض الشباب متدين فعلاً، ومع ذلك يرتكب أفعالاً ضد الدين.

لماذا؟ لأن يدا خبيثة امتدت إليه فأضلته باسم الدين ونعود إلى ابن قتيبه.

قال وذكروا أنه لما كان من الحكمين ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضًا، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أيها الناس: ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن، وينتسبون إلى حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الأمر بالمعروف. والنهى عن المنكر، والقول بالحق وإن ضر ومر. فإنه إن يضر ويمر فى هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والأحكام الجائرة.

فقال حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل. وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلوينكم عن طلب الحق، وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

يا قوم إن الرأى ما قد رأيتم، والحق ما قد ذكرتم، فكلوا أمركم رجلاً منكم فإنه لابد لكم من عماد، وسند، ومن راية تحفون حولها، وترجعون إليها.

ثم اجتمعوا فى منزل زفر بن حصين الطائى فقالوا:

إن الله أخذ عهودنا، ومواثيقنا، على الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والقول بالحق، والجهاد، فى تقويم السبيل وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام.

(يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد)[١].

وقال: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الكافرون)[٢].

فأشهدوا على أهل دعوتنا أن قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم القرآن، وجاروا فى الحكم والعمل، وإن جهادهم على المؤمنين فرض، وأقسم بالذى تعنو له الوجوه وتخشع دونه الأبصار لو لم يكن أحد على تغيير المنكر وقتال القاسطين مساعدًا لقاتلتهم، وحدى، فردا، حتى ألقى الله ربى فيرى أنى قد غيرت إرادة رضوانه بلسانى.

يا إخواننا اضربوا جباهم ووجوههم بالسيف حتى يطاع الرحمن عز وجل فإن يطع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره، وإن قتلتم فأى شيء أعظم من المسير إلى رضوان الله وجنته واعلموا أن هؤلاء القوم خرجوا لاقضاء حكم الضلالة، فاخرجوا بنا إلى بلد نتعد فيه الاجتماع من مكاننا هذا، فإنكم قد أصبحتم بنعمة ربكم وأنتم أهل الحق بين الخلق إذ قلتم بالحق وصمدتم لقول الصدق، فاخرجوا بنا إلى المدائن نسكنها فنأخذ بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا.

فقال "زيد بن حصين الطائى":

أن المدائن بها قوم يمنعونكم منها، ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة، فأعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتنزلوا بجسر النهروان.

قالوا: هذا هو الرأى.

فأصبحوا على ذلك وكتبوا إلى إخوانهم من أهل البصرة.

أما بعد: فإن أهل دعوتنا حكموا الرجال فى أمر الله، ورضوا بحكم القاسطين على عباده، فخالفناهم، ونابذناهم، نريد بذلك الوسيلة إلى الله، وقد قعدنا بجسر النهروان، وأحببنا إعلامكم، لتأخذوا بنصيبكم من الأجر والسلام.

---

(١) سورة (ص) الآية (٢٦).

(٢) سورة المائدة الآية (٤٤).

فكتبوا إليهم :

أما بعد : فقد بلغنا كتابكم ، وفهمنا ما ذكرتم ، وقد وهبنا لكم الرأى الذى جمعكم الله عليه ، من الطاعة ، وإخلاص الحكم لله ، وإعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم ، وقد أجمعنا على المسير إليكم عاجلاً....

وكان على رضى الله عنه يتجهز لحرب معاوية. ولما علم بإجتماع الخوارج على حربه كتب إليهم يقول :

أما بعد : فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين اللذين قد ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله ، واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكمًا ، فبريء الله منها ورسوله ، وصالحوا المؤمنين.

ثم طلب منهما أن يقبلوا إليه.

ولكنهم ردوا بأنه لم يغضب لله وإنما غضب لنفسه وهنا أيس على منهم.

هذه بداية الخوارج كما صورها ابن قتيبة ، وتكاد كل الكتب تجمع على هذا وإن كانت تختلف فى التفصيل.

بدأت الخوارج هكذا ولكنها لم تلبث حتى افترقت فرقًا متعددة والخوارج كانوا يفترقون لأوهى الأسباب وإليك هذه الحادثة .

خطب عبد الجبار بن سليمان إلى ثعلبة ابنته ، ثم شك فى بلوغها فسأل أمها عن ذلك حتى وقع الخلاف بين "ثعلبة" و"عبد الكريم(بن عجرد) فى الأطفال فاختلفا بعد أن كانا متفقين[١].

فأما "عبدالجبار" الذى خطب إلى "ثعلبة" ابنته فسأل "ثعلبة" أن يمهرها أربعة آلاف درهم ، فأرسل الخاطب إلى أم الجارية مع امرأة يقال لها"أم سعيد" يسأل :

---

(١) الثعالبة فرقة من فرق العيارة يقولون : ليس لأطفال الكافرين والأطفال المؤمنين ولاية ولا عداوة ولا براءة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا به أو ينكروه. وكان ثعلبة مع عبد الكريم يدًا واحدة إلى أن اختلفا فى أمر الطفل "مقالات الإسلاميين" صـ ١٨٠ جـ١.

هل بلغت ابنتهم أم لا؟

وقال: إن كانت قد بلغت وأقرت بالإسلام لم أبال ما أمهرتها فلما بلغتها "أم سعيد "ذلك قالت:

ابنتى مسلمة، بلغت أم لم تبلغ، ولاتحتاج أن تدعى إذا بلغت فرد مرة أخرى ذلك عليها.

ودخل "ثعلبة" على تلك الحال، فسمع تنازعهما فنهاهما عنه.

ثم دخل "عبد الكريم بن عجرد"وهما على تلك الحال، فأخبره ثعلبة الخبر فزعم عبد الكريم أنه يجب دعاؤها إذا بلغت، وتجب البراءة منها حتى تدعى إلى الإسلام.

فرد عليه ثعلبة ذلك.

وقال: لا، بل نثبت على ولايتها، فإن لم تدع لم تعرف الإسلام.

فبريء بعضهم من بعض على ذلك.

هذا مثال من آلاف الأمثلة لحوادث كانت تقع بينهم فتفرقهم فينقلبون إلى فرق أو إلى جماعات كل منها تحارب الأخرى إما بالسيف وإما بالجدل.

وقد عرف هذا عدوهم وعرف كيف ينتفع به فى تفريق صفوفهم.

فنجد "رباب السجستانى" يوقع الخلاف بين الخوارج فى قتيل وجد فى عسكر.

فقال بعضهم:

إن حكم أهل العسكر حكم الكفار حتى يعلم أنه قتل بحق.

وقال بعضهم:

بل هم مؤمنون حتى يعلم أنه قتل بغير حق[1].

ولكن بمرور الزمن بدأ التعمق يظهر فى أفكارهم فوجدنا المسائل الكلامية تبحث عندهم ومرة يكونون كالمعتزلة ومرة يبتعدون عنهم لقد وجدنا عندهم أبحاثا فى التوحيد وفى القرآن وهل هو مخلوق أولا، وفى القدر وفى أصحاب الكبائر والرأى فيهم من حيث الخلود فى النار.

---

(١) مقالات الإسلاميين صـ ٢٠١ جـ ١.

وجدنا هذه المسائل تبحث وأخذوا بمرور الزمن يبتعدون عن الوضوح الذى امتازوا به فى أول الأمر ويقتربون من التعقيد.

ولكن الشيء الذى ظلوا يحتفظون به هو البعد عن العقائد الباطنية فى الأكثر.

ومن هنا نجد أن الفرق سيبقى واضحًا بينهم وبين الشيعة.

وكان من الأسباب التى أدت بهم إلى التعمق فى الدراسة أنهم بدءوا حياتهم بالحرب ولكن الحكام لم يغفلوا عنهم بل تيقظوا لجميع حركاتهم فكانت تخمد كل فتنة يقومون بها.

ثم تركوا الاشتغال بالحرب واتجهوا إلى البحث والدرس وأدلوا بدلوهم فى تلك المسائل التى شغلت الفكر فى تلك العصور الإسلامية المبكرة.

والخوارج فرق كثيرة إلا أنهم أجمعوا على اكفار على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ أن حكم...

وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فأنها لا تقول ذلك[1] ونجد "النجدات" لا تربط الحكم بالمعصية كبيرة هى أم صغيرة بل تربطه بالإصرار وعدمه.

فمن ارتكب كبيرة وتاب منها فهو مسلم، ومن ارتكب صغيرة وأصر عليها فهو كافر.

ومن أراء الخوارج منع رجم الزانى المحصن.

ولكننا نجد رأيا غريبا عند البيهسيه.

فقد قالت طائفة منهم:

إذا كفر الإمام كفرت الرعية.

وقالت الدار دار شرك، وأهلها جميعًا مشركون.

وتركت الصلاة إلا خلف من تعرف.

وذهبت إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال.

واستحلت القتل والسبى على كل حال[2].

---

(١) مقالات الإسلاميين صـ١٦٨ وسيأتى الفرق بينهم وبين المعتزلة أن أصحاب الكبائر يعذبون عند الخوارج عذاب الكفار وأما عقد المعتزلة فهم فى منزلة بين المنزلتين والجدات أصحاب نجدة بن عامر الحنفى

(٢) نفسه صـ ١٩٤ ـ ١٩٥.

وكلما تقدم الزمن وكثر الجدال بينهم وبين غيرهم أو بينهم وبين إخوانهم وجدنا التعمق فى البحث.

ولم يقف أمر الخوارج عند التعمق فى البحث فحسب بل نجدهم يتجهون إلى تأويل القرآن بما يتفق وما يذهبون إليه.

فالله تبارك وتعالى يقول: **(كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا)**[١].

فالحيران هو على، والأصحاب الذين يدعونه إلى الهدى هم أهل النهروان.

ويقول سبحانه: **(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا)**[٢].

وهو على:

ويقول جل شأنه: **(ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)**[٣].

وهو عبد الرحمن بن ملجم.

وهنا نجد الشبه بالشيعة[٤].

كما نجد الكيد للإسلام بدأ يدخل كما دخل عن طريق الشيعة.

ويزعمون أن نبيًا من العجم سيبعث وأن كتابًا سينزل عليه[٥].

وإليك ملخص آرائهم فى العقيدة.. بالنسبة للتوحيد رأيهم فيه كرأى المعتزلة.

وهم يقولون بخلق القرآن الكريم.

وأما الوعيد فهم كالمعتزلة.

ولكن الفرق أن الخوارج يرون فى مرتكب الكبير، الذى لم يتب أنه يعذب عذاب الكافرين.

وأما المعتزلة فإنهم يقولون هو فى منزله بين المنزلتين.

---

(١) الأنعام الآية (٧١).

(٢) البقرة الآية (٢٠٤).

(٣) البقرة الآية (٢٠٧).

(٤) ارجع إلى ما تقدم من تأويلات الشيعة إلا أن ذلك قليل جدًا عند الخوارج.

(٥) هذا قول اليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسه.

وأما قولهم فى الإمامة.

فإنهم يثبتون إمامة أبى بكر وعمر. وينكرون إمامة عثمان ـ رضوان الله عليهم ـ فى وقت الأحداث التى نقم عليه من أجلها.

ويقولون بإمامة على قبل أن يحكم.

وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم.

ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعرى.

ويرون أن الإمامة فى قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقًا لذلك ولا يرون إمامة الجائر[1].

(١) مقالات الإسلاميين ص ٢٠٤ جـ ١

تعقيب أول

يقف الباحث أمام الخوارج ليجد مجموعة من المتناقضات.

خوف من الله إلى درجة تجعل الواحد منهم رائدًا فى هذا الميدان.

ثم أفعال لا يرضاها دين ولا إنسانية حيث لم يسمع بها فى التاريخ إلا فى تلك الفترات المظلمة كحروب التتار أو الحروب الصليبية.

ويسأل الباحث من هم الخوارج وما المحرك الذى كان يحركهم إلى ما يفعلون؟

يسأل الباحث هذا السؤال فلا يجد الجواب الشافى.

هل هم عرب؟

لا شك أن أكثرهم كانوا عربا بل ومن فرسان العرب.

ولكن ما أتوا به من الأفعال لا يليق بالشهامة العربية فى الجاهلية، فكيف يليق بالعربى بعد أن كرمه الله بالإسلام.

هل أخذوا أخلاقا من غير العرب؟

الحق أن التاريخ لا يدل على هذا، فما كانت هذه أخلاق فارس وهم الذين يمكن أن يقال إنهم أثروا فى الخوارج.

هل المحرك لهم هو الدين؟

أى دين هذا؟ إن الأديان كلها سماوية كانت أم غير سماوية لا ترضى بماأتى به الخوارج من أفعال.

هل الخوارج قوم لا يعرفون الدين؟

الحق أن منهم من كان فى أعلى درجات الشوق لله ولقائه.

كل هذا سيجعل الكلمة الأخيرة فى وصف الخوارج بعيدة، وسيدلى كل باحث برأيه فيهم وسيبقى رأى الباحثين دائرًا بين العطف والقسوة عليهم.

ولكن الذى يظهر لى أن القوم عرفوا من الدين القشور ثم صدموا بأمور تجرى فى المجتمع ما كانوا يظنون أنها تحصل من قوم كانوا هم المثل الأعلى لهم.

ثم هم مع كل هذا ليس لهم طاقة على تحليل الحوادث لمعرفة أسبابها والباعث عليها.

وهذا نشاهده كثيرا فى الحوادث اليومية.

فإذا كان هناك إنسان تعود دخول المساجد والجلوس مع شيخ المسجد مثلا، فإنه عندما تبدر بادرة من شيخ المسجد أمام هذا الشخص يكون أثرها قليلا، حيث يدرك أن هذا الشيخ إنسان عادى يحصل منه ما يحصل من البشر جميعًا.

أما إذا كان هناك من لم يتعود دخول المساجد ثم جاء تائبًا متجهًا إلى ربه ثم قابل شيخ المسجد ورأى منه مالا يتفق والصورة الكاملة التى رسمها فى ذهنه لهذا الشيخ فإنه سيصاب بصدمة ورد فعل، وقد يرجع عن توبته أو يعلن الحرب على ذلك الشيخ أو ينادى بتحريم الصلاة وراءه.

وعند ذلك سيتبعه بعض الناس إما دينًا وإما كرها فى هذا الشيخ.

وقد يكون ما حصل من الشيخ أمرًا عاديا دعاه إليه ظرف من الظروف.

من المسئول عن هذا؟

أمور عدة هى المسئولة:

منها الصورة المثالية[1] التى رسمها فى مخيلته لهذا الشيخ، وكثيرًا ما تكون هذه الصورة غير ممكنة الوجود فى عالم البشر.

ومنها بعض الأفعال التى صدرت من هذا الشيخ والتى قد تكون أسوأ مما يحصل من الإنسان العادى، فكيف تحصل منه وهو الرائد والقدوة.

ومنها هؤلاء الذين يعرفون كيف يسخرون هذا الشخص الطيب القلب ليصلوا به إلى هدف معين ضد هذا الشيخ.

هذا مثل ضربته لعلنا نقترب بعض الشيء من نفوس الخوارج.

---

(١) المثالى وصف لكل ما هو كامل فى بابه كالخلق المثالى وهو لفظ أقره مجمع اللغة العربية (المعجم الوسيط).

لقد حصلت فى المجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت أمور حيرت العقلاء إلى درجة أن كثيرًا من كبار الصحابة وجدوا الأمل الوحيد هو اعتزال ما يجرى فى المجتمع فلم ينضموا لأحد الفريقين ووقفوا من الفتنة موقفًا سلبيًا[1].

والبعض انضم لأحد الفريقين.

وكان الخوارج ممن انضموا للإمام على، ولكنهم فوجئوا بتلك الأمور التى يمكن أن تكون أمورًا عادية بالنسبة لغيرهم، ولكنها بالنسبة لهم كانت شيئًا كبيرًا.

فرجعوا وهم على يقين أنه لابد من تغيير صورة هذا المجتمع وكان القوم بلا قائد عام يجمعهم ويقودهم ليصل بهم إلى الهدف الذى قاموا من أجله، وبذلوا دماءهم فى سبيله.

والقوم عندما يسيرون وراء قائد حكيم يكون وصولهم إلى الهدف هو الأمر الراجح حيث الشورى فى الأمر والاعداد قبل الاقدام ولكن الخوارج لم يكونوا على شيء من هذا.

فكان أمرهم يقوم على فكرة تخطر بالبال، وتنسب إلى الدين ولو بدون حق فإذا بمجموعة تأخذ هذه الفكرة كعقيدة تبذل الدم فى سبيلها.

من هنا وجدنا المتناقضات الكثيرة فى سلوك الخوارج: منها التضحية فى سبيل المبدأ إلى درجة قد لا يجد الإنسان ما يشبهها إلا فى النادر. نأخذ مثلاً على هذا "حوثرة" يخرج، ويذهب إليه أبوه ليدعوه إلى الدخول فى الجماعة، ولكن "حوثرة" يأبى أن يرجع ويصمم.

ويسأله أبوه:

هل يأتيه بابنه لعله حين يراه يحن إليه.

ولكن "حوثرة" يرد على أبيه:

يا أبت أنا والله إلى طعنة نافذة أنقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى إلى ابنى[2].

---

(١) السلبية (عند الفلاسفة) حال نفسية تؤدى إلى البطء والتردد فى الحركة وقد تنتهى إلى توقفها، وتطلق أيضًا على اتجاه عام يقوم على الاضراب وعدم التعاون (مجمع اللغة العربية): المعجم الوسيط

(٢) الكامل جـ ٢ ص ١٦٥ (بتصرف)

هذه صورة تحكى لنا إيمانهم بما خرجوا من أجله ولكن هناك صور لا يستطيع الإنسان تفسيرها.

ونضرب لها مثلا بما يأتى:

بينما مجموعة من الخارجة التى خرجت على على يسيرون، فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له، فعبروا إليه الفرات، فقال له من أنت؟

قال أنا رجل مؤمن.

قالوا: فما تقول فى على بن أبى طالب؟

قال: أقول: إنه أمير المؤمنين، وأول المسلمين إيمانًا بالله ورسوله.

قالوا: فما اسمك؟

قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرث صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقالوا له: أفزعناك؟

قال: نعم.

قالوا: لا روع عليك. حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعل الله أن ينفعنا به.

قال: نعم:

حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

ستكون فتن بعدى، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسى مؤمنًا، ويصبح كافرًا.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدًا.

فأخذوه، وكتفوه، ثم أقبلوا به وبامرأته، وهى حبلى متم، حتى نزلوا تحت نخل، فسقطت رطبة منها، فأخذها بعضهم، فقذفها فى فيه، فقال له أحدهم بغير حل، أو بغير ثمن أكلتها؟ فألقاها من فيه.

ثم اخترط أحدهم سيفه، فضرب به خنزيرًا لأهل الذمة فقتله.

قال له بعض أصحابه: هذا من الفساد فى الأرض.

فلقى صاحب الخنزير، فأرضاه من خنزيره.

فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك قال: إن كنتم صادقين فيما أرى ما على منكم بأس، ووالله ما أحدثت حدثا فى الإسلام، وإنى لمؤمن، وقد أمنتمونى، وقلتم لا روع عليك.

فجاءوا به وبامرأته، فأضجعوه علي شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه، فسال دمه فى الماء.

ثم أقبلوا إلى امرأته، فقالت إنما أنا امرأة، أما تتقون الله؛ قال: فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة فيهم أم سنان، قد صحبت النبى صلى الله عليه وسلم.

فبلغ عليا خبرهم فبعث إليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله ابن خباب والنسوة، ويكتب إليه الأمر.

فلما انتهى إليهم ليسائلهم خرجوا إليه فقتلوه.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا فى عيالنا وأموالنا؟ سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم نهضنا إلى عدونا من أهل الشام[1].

هؤلاء القوم، بم نصفهم؟

لا يرضون بأكل رطبة من غير ملكهم، ولا يرضون بقتل خنزير ومع ذلك يذبحون رجلا مسلما لا ذنب له، ويذبحون امرأته والنسوة معه.

كل هذا بلا سبب، وبلا داع.

هل هذا إيمان، هل هذا من أجل الدين؟

إننى أضيف على التعليل الذى سبق وهو أن القوم قد صدموا بما رأوا أضيف أن القوم كانوا خليطا من كل نوع فيهم المؤمن، وفيهم اللص وفيهم الحاقد على قريش لا يرضى إلا بنقل الخلافة منها وذلك يرجع إلى ما بين القحطانيين والمضريين من عداوة تقدمت الإشارة إليها[2].

كما يرجع إلى كل الذين قهرهم الإسلام ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم.

وبدون هذا لا نستطيع أن نجد تفسيرًا لما كان يحصل من هؤلاء.

بعد ذلك ننتقل إلى أهم مسألة أثاروها وهى عدم قصر الإمامة على قريش لنرى رأى العلماء فيها.

---

(١) الإمامة والسياسة ص ١٢٢ ـ ١٢٣ جـ ١.

(٢) ارجع إلى الفصل: العرب قبل الإسلام من هذا البحث.

تعقيب ثان

الأئمة من قريش حديث ذكره أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة وحين سمعه الأنصار سلموا لقريش بحقهم.

ولكن الخوارج أثاروا المسألة من جديد.

وفرق كبير بين موقف الأنصار، وموقف الخوارج، لأن الأنصار لو علموا بالحديث من أول الأمر لما طالبوا بشيء، وأما الخوارج فإنهم اعترضوا على هذا الحق لقريش غير ملتفتين لما ثبت فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه من غير المحتمل أن الحديث لم يبلغهم.

والآن نحاول أن نعرف رأى المفكرين المسلمين فى[1] هذا.

فالقاضى عبد الجبار يقف ضد من يجوز إبعاد الإمامة عن قريش ويقول:

"قد استدل شيوخنا على ذلك بما روى عنه صلى الله عليه وسلم.

أن "الأئمة من قريش".

وروى عنه أنه قال:

هذا الأمر لا يصلح إلا فى هذا الحى من قريش".

وقووا ذلك بما كان يوم السقيفة من كون ذلك سببًا لصرف الأنصار عما كانوا عزموا عليه، لأنهم عند هذه الرواية انصرفوا عن ذلك، وتركوا الخوض فيه.

وقووا ذلك بأن أحدًا لم ينكره فى تلك الحال، وأن أبا بكر استشهد فى ذلك بالحاضرين، فشهدوا به على النبى صلى الله عليه وسلم، حتى صار خارجا من خبر الواحد إلى الكثرة[2].

هذا هو رأى المعتزلة كما يصوره القاضى عبد الجبار.

---

(١) ليس من اليسير الإتيان برأى كل المفكرين المسلمين، ولذلك سنكتفى بما يمثل عدة اتجاهات، سنكتفى برأى الأشعرية والمعتزلة وابن خلدون، والقاضى عبد الجبار يصور رأى المعتزلة ولكننى لم أجد نصا منه أن المعتزلة مجمعون على هذا وعضد الدين الايجى فى المواقف ص ٣٥٠ جـ٨ ينص على أن الخوارج وبعض المعتزلة منعوا هذا الشرط.

(٢) المغنى جـ ٢٠المقسم الأول ص ٢٣٤.

ولكن هل تكون الإمامة فى قريش فى كل الأحوال أى حتى لو فرض أنه لم يعد فيهم من يصلح لها؟

يقول القاضى عبد الجبار هنا:

فالحال التى لا يوجد فيها من قريش من يصلح لذلك ـ إن صح ذلك ـ لم تدخل تحت الخبر[1].

ولذلك يجتهد فيه ويقول:

إنه يجب نصب الإمام من غيرهم لئلا تضيع الحدود والأحكام[2]".

ولكنه برغم أنه يجوز أن يكون الإمام من غير قريش إذا لم يكن فيهم من يصلح لذلك.

إنه برغم هذا التجويز ينص على أنه من المستبعد ألا يكون فيهم من يصلح.

ويقول فى ذلك:

"لأننا وإن جوزنا ما ذكرناه، فإنا نستبعد خلو قريش والعترة من الأفاضل الذين يصلحون للقيام بهذه الأمور.

والقاضى الباقلانى يشترط فى الإمام أن يكون قرشيا فى الصميم، ويقول:

أما ما يدل على أنه لا يجوز إلا من قريش فأمور:

منها قول النبى صلى الله عليه وسلم:

الأئمة من قريش ما بقى منهم اثنان.

وقوله للعباس ـ حيث وصى بالأنصار، فى الخطبة المشهورة وكانت آخر خطبة خطبها ـ لما قال للرسول صلى الله عليه وسلم: "توصى لقريش" فقال له:

إنما أوصى قريشًا بالناس، وبهذا الأمر، وإنما الناس تبع لقريش، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم".

---

(١) أى قوله صلى الله عليه وسلم: "هذا الأمر لا يصلح إلا فى هذا الحى من قريش.

(٢) نفسه ص ٢٣٥.

فى نظائر هذه الأخبار أو الألفاظ التى قد استفاضت وتواترت ـ كما يقول الباقلانى ـ واتفقت على المعنى وإن اختلفت ألفاظها.

ويدل على ذلك، وعلى صحة هذه الأخبار أيضًا احتجاج أبى بكر وعمر على الأنصار فى السقيفة بها.

وما روى عن العباس من ذكره لها، والأمر باعتماد عليها وما كان من إذعان الأنصار. ورجوعهم لموجبها عند سماعها وإدكارهم بها، والاستشهاد عليهم بها.

ولولا علمهم بصحتها لم يلبثوا أن يقدحوا فيها ويتعاطوا ردها، ولا كانت قريش بأسرها بالتى تقر كذبًا يدعى عليها ولها؛ لأن العادة جارية فيما لم يثبت من الأخبار أن يقع الخلاف فيه، والقدح عند التنازع والحجاج، ولاسيما إذا احتج به فى مثل هذا الأمر العظيم الجسيم، مع إشهار السيوف، واختلاط القول، ومحاولة الافتراء والميل إلى الرياسة. والعادة أصل فى الأخبار فصح بذلك ثبوت هذا الأمر.

ويدل على ما قلناه إطباق الأمة فى الصدر الأول من المهاجرين والأنصار بعد الاختلاف الذى شجر بينهم ـ على أن الإمامة لا تصح إلا فى قريش.

وقول سعد بن أبى عبادة لأبى بكر وعمر عند الاحتجاج بهذه الأخبار وادكاره بها نحن الوزراء وأنتم الأمراء".

فثبت أن الحق فى اجتماعها، وأنه لا معتبر بقول ضرار وغيره من حدث بعد هذا الاجتماع"[1].

هذا هو رأى القاضى الباقلانى عن اشتراط القرشية إنه يقول بها ويجعل ذلك ما أجمعت عليه الأمة وتواترت أخباره.

وابن خلدون يقول كذلك باشتراط القرشية ولكنه يذكر فيه خلافًا ويقول:

"وأما شروط هذا المنصب فهى أربعة:

العلم، والعدالة، والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر فى الرأى والعمل واختلف فى شرط خامس وهو النسب القرشى.

ثم يفصل الأمر فى هذا الشرط الخامس فيقول:

---

(١) التمهيد ص ١٨٠ ويذكر سعدا بأنه ابن أبى عبادة وبقية المراجع سعد بن عباده.

وأما النسب القرشى فلإجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الأنصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا أمير ومنكم أمير بقول النبى صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش.

وبأن النبى صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم، ونتجاوز عن مسيئكم.

ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم.

فحجوا الأنصار، ورجعوا عن قولهم: منا أمير[1]، ومنكم أمير، وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك.

ولكنه بعد ذلك يذكر وجهة نظر من لا يشترط القرشية وأن ذلك كان عندما رأى كثير من المحققين ضعف قريش وتلاشى عصبيتها بسبب ما نالهم من الترف والنعيم.

فاشتبه ذلك عليهم "وذهبوا إلى نفى اشتراط القرشية".

وعولوا على ظواهر فى ذلك: مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبه.

وهذا لا تقوم به حجة فى ذلك؛ فإنه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة فى إيجاب السمع والطاعة.

ومثل قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته، أو لما دخلتنى فيه الظنة.

وهو أيضًا لا يفيد ذلك لما علمت أن مذهب الصحابى ليس بحجة[2].

وأيضًا فمولى القوم منهم، وعصبية الولاء حاصلة لسالم فى قريش.

بعد ذلك يتعرض ابن خلدون للقائلين بنفى هذا الشرط فيقول:

"ومن القائلين بنفى اشتراط القرشية القاضى أبو بكر الباقلانى لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشى والاضمحلال، واستبداد ملوك العجم من الخلفاء،

---

(١) المقدمة من الباب الثالث، الفصل السادس والعشرون.

(٢) هذا ليس على إطلاقه وإنما يفصل.

فأسقط شرط القرشية، وإن كان موافقًا لرأى الخوارج، لما رأى عليه حال الخلفاء لعهده.

وبقى الجمهور على القول باشتراطها[١].

لقد تقدم لنا أن القاضى أبا بكر الباقلانى من الذين يشترطون القرشية.

وابن خلدون يذكر أنه ينفى هذا الشرط.

فهل عرف ابن خلدون له كتبًا أخرى فى الموضوع فاعتمد عليها؟

والدكتور محمد يوسف موسى[٢] ينقل رأى ابن خلدون عن الباقلانى ثم لا يفيدنا برأيه فيما بين المقدمة والتمهيد من تناقض.

والباقلانى أشعرى ـ بل هو من مؤسسى المذهب ـ والأشعرية يذكرون الشرط ولا يذكرون فيه خلافًا للباقلانى.

جاء فى المواقف بشرحه عن صفات الإمام:

"أن يكون قرشيًا، اشترطه الأشاعرة والجبائيان[٣]، ومنعه الخوارج وبعض المعتزلة .. ثم يقول المواقف بشرحه:

لنا قوله عليه السلام: الأئمة من قريش.

ثم إن الصحابة عملوا بمضمون هذا الحديث، فإن أبا بكر رضى الله عنه استدل به يوم السقيفة على الأنصار، حين نازعوا فى الإمامة، بمحضر الصحابة فقبلوه، وأجمعوا عليه، فصار دليلا قاطعا، يفيد اليقين، باشتراط القرشية[٤].

ولو كان الباقلانى من الذين ينفون اشتراط القرشية لجاء ذلك فى المواقف لأن الباقلانى من العلماء الذى لا يهمل رأيهم وشارح المواقف متأخر عنه فى الوجود[٥].

وبذلك ننتهى إلى أن الباقلانى يقول بشرط القرشية ولا ينفيه كما جاء فى المقدمة لابن خلدون.

---

(١) نفسه.

(٢) فى كتابه نظام الحكم فى الإسلام ص ٢٦.

(٣) أبو على وابنه أبو هاشم وهما من كبار المعتزلة.

(٤) المواقف بشرح السيد ص ٣٥٠ جـ٨.

(٥) قلت وشارح المواقف ولم أقل وصاحب المواقف لأن جملة: "اشترطه الأشاعرة والجبائيان" من كلام الشارح، والشارح "السيد" توفى سنة ٨١٦ هـ والباقلانى توفى ٤٠٣.

تبقى بعد ذلك مسألة خاصة بإمامة على ـ كرم الله وجهه ـ وهى أن الخوارج ـ كما تقدم[1] ـ اعترفوا بإمامته قبل أن يحكم، وينكرون إمامته بعد التحكيم.

كان الدفاع فى الماضى عن إمامة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، لأن الدفاع كان ضد الشيعة الذين يطعنون فى خلافتهم. ويمكن أن نقول إن خلافة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ من أولها حتى التحكيم مجمع عليها من عامة المسلمين ومن الشيعة والخوارج.

فعامة المسلمين يقولون بخلافة الأئمة الأربعة، والشيعة يقدمون عليا على الخلفاء الثلاثة، والخوارج يعترفون بهذه الخلافة قبل التحكيم، ثم يكفرونه بعد التحكيم.

والرد عليهم هنا بما روى عن الإمام على حيث قال مبينا وجهة نظره: "إنا والله ما قاتلنا أهل الشام على ماتوهم هؤلاء الضلال من التكفير والفراق فى الدين وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة؛ وأتاكم هذا منهم فى الفرقة؛ وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة.

ورأينا أننا على الحق دونهم؛ وإنى لعلى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أمرنى فيه بقتال الباغين والناكثين، وإن الرشاد عندى أن يجمعنا الله وإياهم؛ وما لهذا الأمر مثل الرفق، عسى الله أن يجمع هذه الفرقة إلى ما كانت عليه من الجماعة.

فما كره الصلح من هؤلاء الضلال إلا من كان يكره الجهاد للعدو ويضنون بأنفسهم عن الحرب، ويريدون الاعتداء على المسلمين.

لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن القتل بين الآباء والأبناء والإخوان وذوى القرابات، فما نزداد على كل مصيبة وكل شدة إلا إيمانا ونصرا للحق؛ وسلمنا الأمر لله تعالى، وصبرنا على ألم الجراح.

ولكننا أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام على ما دخل فيهم من الزيغ والتأويل والشبهة، فإذا طمعنا فى خصلة يلم الله بها شعثنا، ونزلنا بها إلى التقية بيننا، ورغبنا فيها وامسكنا عما سواها..." ثم قطع الكلام.

---

(١) ص٢١٧ وما بعدها من هذا البحث.

وجميع ما قاله على[١] مفارق لما تعتقد الشيعة والشراة[٢] فى أهل البصرة وصفين من اكفارهم وإخراجهم عن الإيمان، فلا عذر لمشنع فى الخلاف عليه والسرف والإغراق فى إكفار المحارب له على التأويل والقاعد عنه، والحال ما وصفناه[٣].

هذه هى وجهة نظر الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ إنه يكره قتال المسلمين ولكنه يطمع فى ردهم إلى الجماعة، وهو لا يكفرهم، والتحكيم لما يرجى من مصلحة من ورائه... والقاضى عبد الجبار يقف ضد من يطعن فى على قائلاً:

"إنهم مجمعون على أنه كان يصلح للإمامة وإنما ادعوا أنه أحدث ما خرج به عن أن يكون إمامًا، فالإجماع الذى ادعيناه قد حصل منهم"[٤]، ويقول لمن يبرأ منه بسبب التحكيم.

إن الفعل المحتمل وقوعه حسنا أو قبيحا، وفى كونه كبيرا أو صغيرا، إن كان قبيحا لا يجوز أن يزيل الولاية ولا أحكامها.

فمن كان ثابت الولاية بالوجه الصحيح لم يجز عند وقوع أمر من الأمور أن يزول عما وجب له، إذا كان ذلك الأمر بالمنزلة التى وصفناها"[٥].

والإمام على وردت فيه الأخبار المتواترة أنه من أهل الجنة، وهذا يوجب موالاته فى كل حال، وأن نعلم "أن التحكيم الذى وقع منه ليس بكبير لأن الجمع بين اعتقاد كونه كبيرا وبين ما قدمناه من العلم ... بفضله... يمتنع"[٦].

وعلى ـ كرم الله وجهه ـ كان يحارب لدفع الضرر عن الدين والدنيا وبعد رفع المصاحف واختلاف قومه فى الرأى وجد أن استمرار الحرب متعذر وإزالة الخلاف من قومه ليس من الأمور السهلة وبذلك وجد نفسه أمام أمور لابد أن يختار أحدها.

---

(١) لازال كلام الباقلانى،.

(٢) الشراء من ألقاب الخوارج "مقالات الإسلاميين" ص ٢٠٦ جـ ١ والذى له سموا شراء قولهم: شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها بالجنة ص ٢٠٧.

(٣) التهيد صـ ٢٣٨ ـ ٢٢٩.

(٤) المغنى جـ ٢٠ القسم الثانى ص ٦٠.

(٥) نفسه ص ٩٥.

(٦) نفسه ص ٩٥ ـ ٩٦ والعبارة فى النص فيها ألفاظ بدون فائدة حذفناها ليستقيم المعنى.

أولا : أن يستمر على مناجزة القوم وحال أصحابه بتلك الصورة من الفشل.

ثانيًا : أن يحارب من دخلت عليه الشبهة من أصحابه بأهل البصائر وذلك محظور عنده، إذا أمكنه أن يردهم عن شبههم من غير هذا الوجه وإذا كانوا غير منابذين له.

ثالثًا : أن ينصرف عن القتال أصلا، وذلك أعظم مضرة من الرضا بالتحكيم من وجوه كثيرة.

رابعًا: الرضا بالتحكيم والضرر فيه أقل، ويرجى معه عود الأمر إلى الصلاح: ومن هنا اختار التحكيم[1].

ولا وجة لمن يقول إن اختياره التحكيم دليل على شكه فى حقة وذلك لأن الأمر يختلف فى الاختيار ولا تدل على كفره حيث يكون مضطرًا، وأما فى حالة الاختيار فإنها تكون دليلاً على كفره: "هذا لو سلم كونه[2] دالا على الشك.

فكيف وقد علمنا أنه لا يدل على ذلك، لأنه قد يجوز أن يرضى بالتحكيم لإزالة الشبهة عن قلب غيره. وإن كان على ثقة بيقين وبصيرة"[3].

وعلى ذلك فإنه ما من شبهة ترد على الإمام على إلا وهى مردودة، ونختم الموضوع بهذه الشبهة وردها.

لقد قالوا:

"إن الحكم الظاهر يجب أن يمضى ولا يتوقف فيه كجلد الزانى، وحد السارق، فلماذا توقفتم فى الإمامة وحكمتم الرجال؟

فقال لهم عند ذلك:

إنما يجب فيما لا شبهة فيه عند أحد، فأما عند الشبهة فقد يجوز التوقف وأن الباغى من الفريقين معاوية وأصحابه مما قد تجوز فيه الشبهة فلذلك صح التحكيم.

---

(١) نفس المصدر (بتصرف) صـ ١٢٠.

(٢) أى التحكيم.

(٣) نفسه ص ١٠٣ على أن الذى دعا عليا إلى الرضا بالتحكيم دعاه بعينه، إلى الرضا بتحكيم أبى موسى، فلم يفعل باختياره وإنما فعله للضرورة "نفسه صـ١٠٥.

وهذه الجملة أبين ما نورد على القوم[١].

وبذلك ننتهى إلى أن عليا رضى الله عنه فعل ما يراه متفقًا مع دينه وهى كلها أمور إجتهادية، قد تأتى نتيجتها كما أريد منها وقد تختلف عن النتيجة المتوقعة أما أن نتناول شخصا بالتكفير بسبب مسألة اجتهادية فهو مما لا يرضاه الشرع.

هذا إذا كان شخصا من عامة الناس.

فكيف إذا كان شخصا مثل على بن أبى طالب.

إن صحابة رسول الله صلى عليه وسلم يجب أن يبقوا دائما محل الإجلال والتكريم من نفس كل مسلم .

وإننا نحكم عليهم الآن متأثرين بروايات أغلبها مدسوس عليهم فيجب ألا نتسرع فى الحكم.

وإن الحروب الأهلية فى كل مكان تكون سببا فى اختلاط الأمور وهذا ما كان وقت الفتنة حتى صدق على الأمة حينئذ المثل القائل.

"اختلط الخاثر بالزباد"[٢].

وبذلك ننتهى إلى أنه لا يجوز أن نخوض فى أديان القوم وبيننا وبينهم كل هذه القرون، وكل هذه الروايات.

وكل ما نقوله هو أن من ثبت صلاحه بيقين لا يرتفع صلاحه بشك وليس أفضل من هؤلاء الصحابة فكيف نشك فى دينهم بسبب روايات لا نعلم فاسدها من صالحها.

إننى أريد أن أختم هذه المناقشة بجملة عن الإمام الشافعى وغيره من السلف ملكت على كل تفكيرى وهى:

"تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا"[٣].

---

(١) نفسه صـ١٠٥.

(٢) مثل يضرب للقوم يقعون فى التخليط من أمرهم وخثر اللبن خثرا وخثورا، وخثرانا ثخن وغلظ والزباد الزبد وزباد اللبن مالا خير فيه (المعجم الوسيط).

(٣) المواقف صـ ٣٧٤ جـ٨.